كَمْ مِنْ أَلَدّ بِلا ما زالَ مُلتزماً ... مِنْ خَوْفِهِ عادلاً عَنْها إلى نَعَمِ[1]
فَالمُبتغونَ لغيرِ الحقّ في نِقَم ... مِنْهُ وكلّ مُحقٍّ منه في نِعَمِ
صَحِبتُهُ زمنَ التدريسِ مُقتطفاً ... منْ روضِ إمْلَاه نُورَ الحُكْمِ والحِكَمِ
فَكَانَ برّاً رَؤُوفاً بِي وَمُغتفراً ... لِزلّتي لم يُعاتبني ولَمْ يَلُمِ
أراه إنْ طالَ قَولي في بَشاعَتِهِ ... كأنَّه عنْ كلامي الغثِّ في صَمَمِ[2]
وغِبْتُ عَنْهُ زماناً واتصلتُ بِهِ ... في رتبةٍ هُو فيها صاحبُ العَلَمِ
قاضي قُضاة أميرِ المُؤمنين عَلَى ... يَمينِه قاعداً في الصَّدْرِ لَمْ يَقُمِ
فَقام تعظيمُهُ في صَدْرِ كلّ فتًى ... مُسلمٍ لِلأكُفِّ الطُّهرِ مُستلمِ
وَشاعَ تَعظيمُه في الناسِ ثمّ غَدَا ... عِنْدَ الْجنينِ كَرأي العَيْنِ في الرَّحمِ
وَمِثْلُ ذاكَ أعاديّ تَواتره ... فِينا وفي الغيرِ من مُستقبلِ الأُمَمِ
فما تغيَّر شيء كنتُ أعهدُهُ ... قبلَ التَّصدُّر في القاضي منَ السَّأَمِ
كأنه لِلنَّدامَى منْ تَواضُعِهِ ... على جَلالتِهِ منْ أصغرِ الخَدَمِ[3]
فقامَ ذاكَ دليلاً أنّ هِمَّتَهُ ... من فوقِ ذاك الذي يُعطي ذَوو الهِمَمِ
وَلوَ أحلّ الفَتَى في الناسِ رُتبتَهُ ... دَهْراً لأصبحَ ربَّ السَّيفِ والقَلَمِ
مُملَّكاً كلَّ أقليمٍ ونَاصيةٍ ... عُمَّالهُ في نواحي مِصْر والحَرَمِ
يا منْ يَرى أَنَّ نَظْمي قَدْ قضيتُ بهِ ... حقَّ المديح فَقدْ أخطأتَ فَاسْتقِمِ
لَيْستْ مُبالغتي فيهِ مُبالغةً ... ولا الغلوُّ غُلوّاً يا أخا الهِمَمِ
وَلو أتيتُ بأنواعِ البديعِ لَمَا ... قَضيْتُ حَقّاً وكانَ العَجْزُ مُلتزمي

وهو الآن في قيد الحياة، لعلَّه قد صار في ستين سنة من عمره. وله إليّ أشعار غير هذه، ومسائل سألني عنها، وأجبته بأجوبة هي في مجموع جواباتي. ثم توفي رحمه اللَّه لعلَّه في سنة ١٢٢٣ ثلاث وعشرين ومائتين وألف.

٤٩

(أحمدُ بن عليّ بن مُحمَّد بن أحمد طَشي الصَّعْدي)

ثم الرّداعي، ولد تقريباً سنة ١١٩٠ تسعين ومائة وألف، وقرأ في ذمار،

(١) الأَلَدُّ: الشديد الخصومة.
(٢) كلامٌ غَثٌّ: رديءٌ، قبيحٌ.
(٣) الندامى: الأصحاب على الشراب.

وغيرها، فصار عارفاً بالفقه والآلات، يفهم ذلك فهماً جيداً. وله ذكاء عظيم، وفطنة باهرة، وقوة عارضة، وحسن محاضرة، ورقة طبع، وانسجام خلق عجيب، ويشعر شعراً حسناً، سمع منّي مدة إقامتي في مدينة (ذي جبلة) عند قدومي إليها مع مولانا المتوكل على اللَّه في سنة ١٢٢٦ في «صحيح مسلم» وسمع في غيره. وكان يحضر للقراءة عند إقامتي هنالك، وهو الآن مقيم بمدينة رداع[١].

٥٠
(أحمدُ بن لُطف الباري بن أحمد بن عبد القادر الوَرْد)

خطيب صنعاء، وابن خطيبها، ولد في شهر رمضان سنة ١١٩٢ اثنتين وتسعين ومائة وألف، وولّاه الإمام المنصور باللَّه عليّ بن العباس الخطابة مكان والده العلَّامة التقيّ الفاضل الورع الزاهد المسند. وكان كل أحد من الناس لا يظن أنه يلحق به في الخطابة أحد. فلما مات استشرف للخطابة جماعة، وكان سنّ صاحب الترجمة إذ ذاك ثماني عشرة سنة، فقام بالخطابة قياماً لا يقوم به أحد، وفاق والده عن قرب، وهو الآن مُستمرٌّ على ذلك. وله شغلة بطلب العلم كبيرة، مع ذهن وقَّاد، وطبع منقاد، وفهم سليم، وفكر مستقيم، وقد صار معدوداً من العلماء مع حداثة سِنّه. قرأ عليّ في «شرح الجلال» المعروف «بضوء النهار». وفي شرح «جمع الجوامع» للمحلي. وهو الآن مُستمرٌّ على ذلك، وعمره عند تحرير هذه الأحرف نحو العشرين سنة. ومن أعلم مشايخه الذين تخرَّج بهم والده، ومنهم السيد العلّامة إبراهيم بن عبد القادر، والسيد العلّامة مُحمّد بن يُوسُف بن أحمد بن يُوسُف. وبالجملة فهو من محاسن الزمن في غالب أوصافه، بحيث يقصر عن حسن سمته ورصانة عقله وطهارة لسانه وعفته ونزاهته كثير من أهل الأسنان العالية. ثم انجمع واعتزل الناس إما زهداً أو فراراً من الخطبة. كما يفعله كثير من عباد اللَّه الصالحين، والعلماء العاملين. أو أنه حدث في مزاجه سوداء أوجبت له الاستيحاش من الناس. وقام مقامه أخوه العلَّامة مُحمَّد بن لُطف الباري، وهو تلوه في الفضائل. وله قراءة عليّ في أمهات الحديث، وسمع مني بعضاً من تفسيري، وقرأ على أخي يَحْيَى في الأصول وغيرها. وصار ثابت القدم في الخطابة بحيث أنه يفوق كثيراً من الخطباء، مع حسن أداء، وفصاحة لسان، وثبات جنان، وحسن أخلاق، وعمل بما في السنة المطهرة، وبالجملة فهو من محاسن العصر[٢].

---

(١) في نيل الوطر: توفي سنة ١٢٧٩هـ.

(٢) قيل: توفي سنة ١٢٨٢هـ.